الجميع بات يتحدث بمنطق الدولة السورية هل يبرز التحوّل؟

■ د. محمد بكر*

لم يكن دافع الجديد السعودي في اعتقادنا لجهة المبادرة لفتح حوار مباشر مع الحوثيين لإنهاء الحرب اليمنية وتوقيع اتفاق سياسي يراعي مطالب الحوثيين «بكبشي فداء» صالح وهادي، هو فقط ما أكده مصدر دبلوماسي خليجي بأنّ السعوديين ضاقوا ذرعاً بطول مسار المفاوضات في الكويت، فعلى ما يبدو أنّ العربية السعودية قد تترك رحال «تعنتها» جانباً، وتمضي إلى حيث مضى أردوغان، بعد تفجيرات مطار أتاتورك ولاحقاً التفجيرات التي هزت السعودية، وأربكت لا بل نسفت العناد السعودي، حتى إمام المسجد الحرام بات يدعو بالويل على الداعشيين ومن سلك مسلكهم، وترامب هو الآخر تفرّد في طرح نظريته التي تجد في بقاء الديكتاتورية الخيار الأفضل للشرق الأوسط، مضيفاً في تعليق على الرئيس الراحل صدام حسين: صحيح أنه كان رجلاً سيئاً لكنه كان يقتل الإرهابيين، وكان على الولايات المتحدة أن لا تزعزع الاستقرار عندما تدخلت في العراق، مؤكداً «أنّ العراق اليوم تحوّل إلى جامعة هارفارد للإرهاب» على حدّ تعبيره.

فهل بات خصوم دمشق وإيران وموسكو على قناعة تامة بأنّ الإرهاب قد انفلت عن المسار المرسوم له، وهل سينتهي الاستثمار في ورقة الإرهاب كاستراتيجية أميركية قديمة متجدّدة، وهل ما كانت تحذر منه دمشق خلال سنوات الحرب بات اليوم في رأس الأولويات الذي يوحّد الرؤى الدولية والإقليمية المتصارعة في جغرافية عديدة في هذه المنطقة وتالياً نحن أمام ولادة حقيقية لتحوّل قد يبرز بقوة إلى واجهة المشهد؟

يقول مركز أبحاث الأمن القومي الصهيوني في جامعة تل الربيع «تل أبيب» بالتسمية الاسرائيلية، إنه برغم «إخفاقات داعش وهزائمه، إلا أنّ ذلك لا يشير إلى قرب الانتهاء والانهيار، ولن يختفي دوره كلاعب مؤثر في المنطقة، وذلك لأنه لا زال يملك وحلفاؤه موارد اقتصادية وبشرية كبيرة، مضيفاً إنه على الدول التي تحارب التنظيم أن تضع مصالحها الخاصة وخلافاتها في جدول أعمال أقلّ ارتفاعاً لصالح المصلحة العامة، وهذا مستبعد بحسب توصيف المركز.

في اعتقادنا أنّ استبعاد ترحيل الخلافات الدولية، وكذلك تقديم توحيد الجهود لمكافحة الإرهاب على أيّ صراع دولي بحسب المركز، يشي في اعتقادنا بأنّ اليد الأميركية الإسرائيلية لا تزال تحيك خلف الكواليس وإنْ بدا في الظاهر تحوّل في مواقفها ومنطوق حديثها، لا تزال تحيك استراتيجيات السيطرة على هذه المنطقة من خلال تقسيمها وشرذمتها وضرب مكوناتها وسحق نسيجها الذي تبدو فيه ورقة المحافظة على داعش وأخواتها من لزوميات تطبيق فكر برنارد لويس في ضرب الخصوم والأصدقاء وتغذية تناحر العرب والأكراد والأتراك بعضهم ببعض.

نأمل أن تدرك الدول «المتحوّلة» خطورة ما يُحاك للمنطقة كلّ المنطقة، والتيقن من أنّ ولاءهم للولايات المتحدة والكيان الصهيوني لن يلغي الأفكار الشيطانية التي ستنفخ في خطواتها الإبليسية لتعمّ سائر الجغرفيا. فهل ستثمر دعوة بوتين خلال اتصال هاتفي مع نظيره الأميركي لجهة ضرورة فصل المعارضة المعتدلة عن جبهة النصرة وباقي التنظيمات الارهابية؟ وهو الذي (أي الأميركي) لا زال يتمنّع ويماطل حتى اللحظة في وضع خارطة تنفيذية لذلك الفصل، وهل تكون إشادة أوباما بالجهود الروسية هي مقدّمة حقيقية لتنسيق عسكري حقيقي ودفع الحلّ السياسي للحرب السورية للمضيّ بطرق سلمية؟ أم أنّ «حليمة» الأميركية ستستمرّ في عادتها القديمة وكلام ليلها يمحوه النهار؟ أسئلة برسم القادمات من الأيام التي لن تطول كثيراً لنعرف الإجابة الصحيحة عليها.

*كاتب صحافي فلسطيني مقيم في ألمانيا
Dr.mbkr83@gmail.com

تفجير الكرادة يورانيوم

- قرابة خمسماية شهيد يعلن عنهم بالتتابع في التفجير الذي نفذه تنظيم داعش في حي الكرادة ببغداد والتفجير لم يحدث حفرة ودماراً وشظايا تتناسب مع حجم عدد الضحايا.

- الخبراء يجمعون على نوعية التفجير غير التقليدية لكن لا إفصاح عن تفسير مقنع لجامع بين الطابع السطحي للتفجير والمستوى الحارق والمشوّه للضحايا فيه وعددهم الكبير ومدى إنتشار تأثيره.

- داعش منذ مدة تحت رقابة ومتابعة لجهة ما قالت منذ شهور أجهزة غربية مخابراتية عن سعيه لإمتلاك تقنية نووية.

- أظهر داعش أنه بمقدار التخلف الفكري والتوحش الإنساني يتصالح مع أحدث التقنيات ويتقن استخدامها وهو لا يتردّد في تصوير تدميره لمنتجات الحداثة بمنتجات أشدّ حداثة منها.

- تمكن داعش من امتلاك وتطوير واستخدام أسلحة كيميائية في أماكن عديدة وحظي بتغاضي الغرب وتستره أو استخفافه على الأقلّ.

- مع تقديرات قيادة التنظيم لقرب تبلور حلف دولي إقليمي منسّق يحلّ خلافاته حول سورية يضمّ موسكو وواشنطن، يتبعه تصعيد الحرب ضدّه قرر استخدام مخزونه لإيصال رسائل التحذير.

- تفجير الكرادة رسالة باليورانيوم المنضب تقول انتبهوا الحرب ليست سهلة.

التعليق السياسي

ولأن في التاريخ بدايات المستقبل...

تُخصّصُ هذه الصفحة صبيحة كل يوم اثنين، لتحتضنَ محطات لامعات من تاريخ الحزب السوري القومي الاجتماعي، صنعها قوميون اجتماعيون في مراحل صعبة من مسار الحزب، فأضافوا عبرها إلى تراث حزبهم وتاريخه التماعات نضالية هي خطوات راسخات على طريق النصر العظيم.

وحتى يبقى المستقبل في دائرة رؤيتنا، يجب أن لا يسقط من تاريخنا تفصيل واحد، ذلك أننا كأمّة، استمرار مادي روحي راح يتدفق منذ ما قبل التاريخ الجلي، وبالتالي فإن إبراز محطات الحزب النضالية، هو في الوقت عينه تأكيد وحدة الوجود القومي منذ انبثاقه وإلى أن تنطفئ الشمس.

كتابة تاريخنا مهمة بحجم الأمة.

الرفيق الدكتور حسني حداد
مبدع فذ اتّبع نهج سعاده في الإنتاج الفكري

إعداد: لبيب ناصيف

عندما اطلعتُ على قرار عمدة الداخلية رقم 239 بإنشاء مديرية في بلدة «برشين» تابعة لمنفذية حماة، تذكرت ما كان يرويه لي الرفيق منير حداد من انه ولد في «برشين» قبل أن تنتقل العائلة الى منيارة فمرمريتا، القامشلي حسب انتقال الوالد، القسيس البروتستانتي.

هذا ما دفعني لأن أعيد قراءة مؤلف «في الموسيقى السورية» للرفيق الدكتور حسني حداد بعد أن أعادت طبعه «مؤسسة سعاده للثقافة»، وبالتالي الى نشر نبذة تعرّف الجيل الجديد من رفقائنا على أحد الأفذاذ، الذين أغنوا حزبهم ثقافياً. واني لا أنسى انّ العدد الأول من مجلة «آفاق» حفل بدراسة قيمة للرفيق حسني.

* *

لعلّ أفضل من يعرّف عن الرفيق د. حسني حداد هو ما أورده كلّ من الأمين الدكتور سامي الخوري في الكلمة التي قدّم بها كتابه «في الموسيقى السورية»، والشهادة الصادقة عنه التي قدّمها الأمين د. منير خوري واحتلت الصفحات 15 – 16 – 17 من الكتاب المذكور.

بعض ما جاء في المقدمة للأمين د. سامي الخوري:

«في مطلع عقد الخمسينات من القرن العشرين تشكّلت في دمشق حلقة ثقافية من عدد قليل من المثقفين والجامعيين القوميين الاجتماعيين هدفها التعمّق في دراسة العقيدة القومية الاجتماعية وحفز روح البحث والدراسة بين أعضائها (راجع: سامي الخوري، أمل لا يغيب، ص 182 وما بعدها). وكان بين هؤلاء حسني حداد الذي قدّم بحثاً مطوّلاً «في الموسيقى السورية» نشر تباعاً في جريدة «الجيل الجديد» بدمشق في أيار 1952. وكانت هذه الجريدة تنشر معظم الإنتاج الفكري الصادر عن الحلقة الثقافية.

«ولما كان بحث حسني حداد جديداً وفريداً من نوعه فقد أصرّ أعضاء الحلقة والمسؤولون في الحزب السوري القومي الاجتماعي على حسني حداد أن يتوسع في ما كتبه عن الموسيقى السورية ليصبح هذا البحث كتاباً مرجعياً ليس في المكتبة العربية كتاب آخر يطرق هذا الموضوع. وهكذا أخذ حسني حداد بتوسيع بحثه حتى أصبح كتاباً كاملاً نشرته «الجيل الجديد» تحت عنوان: في الموسيقى السورية:

«طرق حسني حداد في كتابه هذا نشوء الموسيقى السورية منذ العصور السابقة للتاريخ الجلي ثم تناول الفن الموسيقي في العهد السومري منذ الألف الثالث قبل الميلاد وتابعه في العصور البابلية والآشورية حتى الوقت الحاضر. ثم درس نشوء جميع أنواع الآلات الموسيقية وهي آلات الإيقاع كالطبل والصنوج والدفوف وما تفرّع عنها من آلات أصغر حجماً وآلات النفخ كالناي المفرد والمزدوج والمزمار والقرن (Horn) والآلات الوترية وأشهرها ما عُرف بالقيثارة (Harp) التي اكتشف نماذج منها كاملة وغير محطمة في مقابر «أور» المكتبة التي تعود للألف الثالث قبل الميلاد وخاصة في قبر الملكة شوباد (راجع ملحق الصور). وليس أدلّ على تقدير السوريين للموسيقى من دفن الآلات الموسيقية مع ملوكهم مما يشير الى تعلّق هؤلاء الملوك بالموسيقى وآلاتها.

«احتلت الموسيقى في الحضارة السورية مركزاً رفيعاً وكانت تستخدم في المعابد والحياة العامة والاحتفالات الشعبية وترافق الإنشاد الديني. وكذلك كانت ترافق إنشاد الملاحم الأسطورية والملاحم الشعرية مثل ملاحم راس شمرا – أوغاريت.

«تبوأ الموسيقيون مركزاً رفيعاً في المجتمع حتى أنه تمّ تعيين ابنة الملك «نارام سن» كقارعة رسمية للطبل المقدس في هيكل إله القمر في مدينة «أور» عام 2382 قبل الميلاد.

* *

شدّد حسني حداد تبعاً لما قاله سعاده إنّ الانتاج الفكري والفنّ بجميع أشكاله: الموسيقى والنحت وفنّ العمارة وغيرها، هو تعبير عن روح الأمة يزدهر في عصور قوة هذه الأمة وينحط في عصور انحطاطها. ولذلك فإننا قد اوردنا مع ملحق الصور مجموعة من مخططات القصور والمعابد منذ الألف الرابع وحتى الألف الاول قبل الميلاد. وتدلّ هذه المخططات على تقدّم الفن المعماري من حيث امتداد القصور والمعابد وتعقيد هندستها، كما تدلّ المجسّمات التي صنعها علماء الآثار لهذه القصور والمعابد على جمال هذه الأبنية وتطوّرها الهندسي.

«أما النحت والتصوير، فإننا قد اخترنا الفن السوري في العهد الآشوري كمثال لدراسته وذلك لما يتمتع به من ديناميكية وحيوية الحركات وخاصة لوحات صيد الأسود التي تمتاز بالواقعية القصوى والدقة التشريحية في أداء أجسام الحيوانات. ومن أفضل هذه المنحوتات منحوتة «اللبوة المحتضرة» التي وجدت في قصر آشور بانيبال وتعتبر قمة في الأداء الفني القديم. وكذلك تمثال وجه امرأة من القرن الثامن قبل الميلاد ويُعرف بين علماء الآثار بالموناليزا وكان محفوظاً في متحف بغداد.

«ومن افضل الأبحاث في الفن السومري البحث المطوّل الذي كتبه الفيلسوف الفرنسي اندريه مالرو في مقدمة كتاب «سومر» وقارن فيه هذا الفن مع تماثيل أوروبية حديثة. ولخص نظرته للفن في ما بين النهرين حين قال إنّ هذا يشكل «سلسلة متصلة من الحلقات ليس بينها أي إنفصام بل استمرارية تامة وتطوّر مستمرّ».

«ومن أبرز الأدلة على تقدير السوريين للفن والفنانين تمثال أور– نانشه أو أور– نينا (حسب قراءة أخرى) كبيرة المغنّيات في بلاط الملك إيبول – إيل الذي يُعتبر أفضل تمثال أنتجه الفنانون في مدينة «ماري» من حيث تناسق الأبعاد الثلاثية ودقة التعبير. وتقع مدينة «ماري» السورية على نهر الفرات وتُعتبر أحد امتدادات الحضارة السومرية وهذا التمثال موجود حالياً في متحف دمشق (راجع ملحق الصور).

«كان السومريون أول من جمع الآلات الموسيقية: آلات النفخ والآلات الوترية وآلات الايقاع معاً لتؤلف مجموعة موسيقية كاملة أو ما يعرف حالياً بالأوركسترا، كما كانوا اول من استخدم الموسيقى في المسيرات العسكرية (راجع ملحق الصور).

* *

«بعد أن هاجر حسني حداد الى اميركا التحق محاضراً بجامعة شيكاغو حيث درّس موضوع الموسيقى السورية وألقى العديد من المحاضرات التي لم نتمكن من الحصول عليها للتأكد مما اذا كان قد عدّل شيئاً على ما ورد في كتابه عام 1952 ولذلك بقي الكتاب على حاله.

«هذا الكتاب بعد مرور أكثر من خمسين عاماً على طبعته الأولى، لا يزال مرجعاً قيّماً في الموسيقى السورية فخماً رائداً لدارسي الموسيقى وتاريخ الحضارات اذ انّ أثر الموسيقى السورية قد امتدّ الى اليونان، ومنها الى معظم دول العالم.

«وتوضيحاً لبعض النصوص الواردة في الكتاب فإنني قد اخترت عدداً من الرسوم القديمة والمناسبة للنص وأضفتها الى الكتاب في ملحق خاص بالصور مع المراجع التي استقيتها منها. وآمل أن أكون قد أعطيتُ حسني حداد حقه من الاعتراف بفضله.

أتمنى أن تحفز هذه الطبعة الثانية الموسيقيين والمؤرخين لإعادة دراسة هذا الموضوع وإكمال ما يمكن ان يكون بحاجة للتوضيح أو التوسع فيه».

* *

حسني حداد كما عرفته للأمين د. منير خوري

«الدكتور حسني حداد، رفيق وزميل وصديق، وكانت شخصيته تلامس، او تكاد، العبقرية بكلّ معاني الكلمة.

تعرفتُ إليه لأول مرة في مدرسة طرابلس الإنجيلية زميلاً في التعليم للصفوف الابتدائية، وكنا لما نزل في مطلع العشرينات، وقد تميّز حسني بموهبة العزف على العود والبيانو معاً. وكان يعزف، كلما طاب له، بعض القطع الموسيقية التي كنا نحبها كلانا. وكنتُ أحاول مرافقته بالعزف على العود قدر طاقتي وإمكاني في ذلك الحين ولا أعرف كم سبقته في الإيقاع، أو سبقني. ولكنها كانت لحظات نادرة في المشاركة بالإمتاع والتذوّق.

«كانت هذه بداية علاقتنا الشخصية التي انطلقت من منطلقات سعاده القومية الى أن توطدت جدياً مع الشغف الموسيقي والنضال لأجل تحقيق مبادئ العقيدة القومية الاجتماعية...

«أما حسني، وهمّه الأكبر تركّز على كيفية الحصول على «مفتاح» المعرفة وولوج الأبواب الجامعية، كما كان طموحه الدائم القفز فوق عائق السنوات الأربع الأولى التي كان على كلّ طالب جامعي التدرّج فيها كشرط أساسي للوصول الى الدراسات العليا الجامعية.

«كانت هذه المرحلة الأولى من توطيد العلاقة الشخصية بيننا.

«أما المرحلة الثانية فقد بدأت في مطلع الأربعينات عندما دخلت الجيوش الإنكليزية الى لبنان. زارني يومها حسني في قريتي «جبرائيل» وسكن في بيتنا ما يقرب من أسبوع. وكنا نتحدّث دوماً عن طموحاتنا المتجانسة وعن كيفية توفر إمكانية ما لإكمال دروسنا الجامعية التي كانت أبوابها مقفلة أمامنا: هو لرفضه الرضوخ للنظام الجامعي الذي يفرض، كما أردفت، على كلّ طالب جامعي التدرّج عبر صفوف الأولى بدءاً من صفّ الفرشمن الى BA. أما من جهتي فكانت الأسباب المادية تحول بيني وبين إكمال تحصيلي الجامعي. وهكذا كنا نتبادل اليأس والأمل ونروّح عن النفس بسهرات قروية كان حسني يسهم فيها بعزفه على عودي الذي أصبح رفيقه طوال المدة التي أمضاها عندنا في البيت.

«المرحلة الثالثة من علاقتنا، وكنتُ قد أصبحت أنا في الولايات المتحدة أدرس في جامعة كورنال في مدينة «إيثكا» شمال ولاية نيويورك.

«وصل لعندي حسني وعلامات تأثره الشديد بادية على وجهه دون أن يستسلم لليأس. ثم سألني وطلب مني بالحاح أن أعرّفه الى عميد الجامعة في كورنال والمسؤول عن قبول كلّ طالب يودّ دخول الجامعة.

«لبّيتُ طلبه فوراً وعرّفته الى عميد الجامعة الذي استقبلنا بكلّ حفاوة، وما زلت أذكر تلك المقابلة التي أجراها معه العميد لمدة ساعة تقريباً. وقد أظهر العميد إعجاباً شديداً بما لدى حسني من طاقات فكرية متقدّمة جداً في شتى الحقول. إلا أنه لسوء الحظ، وبالرغم من اعترافه أنّ معلومات حسني تخوّله الدخول الى الصفوف العليا من الجامعة، غير أنه بالرغم من تلك القناعة التامة، أصرّ على أنّ حسني لا يمكنه دخول الجامعة قبل إكماله السنوات الأربع المقرّرة من البرنامج الجامعي التقليدي، لأنه اعتبر أنّ هذا طموح غير مقبول وغير معقول، قياساً بالنظام الجامعي.

وهكذا رفض العميد طلب حسني القفز فوق القانون، والأعراف الجامعية المعتادة.

«خرج حسني، بعد المقابلة حزيناً، ولكن كعادته ليس يائساً...

«عدنا أنا وحسني الى البيت وظلّ يبحث عن مخرج لأزمته الجامعية، وفي اليوم التالي ترك البيت وأعاد التفتيش عن جامعة أخرى حتى وصل الى جامعة شيكاغو التي قبلته، ولم يكن ذلك وارداً في النظام الجامعي لديها، شريطة أن يتقدّم للإمتحانات التي يبدو أنّ هذه الجامعة كانت تسمح بها، وهي امتحانات صعبة جداً.

«أخبرني حسني فور حصوله على هذا الجواب الإيجابي، تلفونياً بأنه يعتبر نفسه محظوظاً بأن يُسمح له، على الأقلّ بتقديم الامتحانات مهما كانت صعبة.

«هاتفني حسني وأخبرني أنه قدّم الامتحان ونجح بامتياز.

«وهكذا دخل حسني الجامعة في شيكاغو حتى نال شهادة الدكتوراه، كما عُيّن استاذاً محاضراً عدة سنوات حتى عاجلته المنون.

«ظلّ حسني في خاطري وفي قلبي أمثولة وعبرة في الإصرار والكفاح لأجل تحقيق الذات وتوسيع مداركه والآفاق في الموضوع الذي أعطاه جذوة عمره وضوء عينيه وشغف قلبه.

«لا يزال حسني في عيني، وبالرغم من الغياب، كما عرفته، يحاول أن يطرق باب المستحيل ليعبر الى النهضة المنشودة التي نرتجيها».

* *

نبذة شخصية

ولد عام 1923 في قرية «برشين»

كان والده قسيساً في الكنيسة البروتستانتينية

حصل على الثانوية العامة في المدرسة الأميركية

انتسب الى جامعة «شيكاغو» واختار التاريخ القديم في منطقة الهلال الخصيب. وتخصص في دراسة وثائق رأس شمرا وتعلّم اللغات الأوغاريتية والأكادية والعبرية ودرس علم الآثار وكانت أطروحته لنيل الدكتوراه بعنوان «اله العواصف السوري القديم بعل» لكونه يمثل استمرارية الأساطير السورية القديمة والفكر المسيحي والإسلامي. وبذلك حصل على الدكتوراه عام 1960.

عمل في كثير من الجامعات وصولاً الى جامعة «سان زافير» بشيكاغو حيث تولى فيها رئاسة قسم العلوم التاريخية والسياسية.

نشر بعض المقالات التاريخية والسياسية وبعض الأبحاث وفي عام 1973 قام بنشر كتاب «موقف المؤرّخين الغربيين من تاريخ الشرق الاوسط».

أصدر كتاباً عن تاريخ العالم العربي ليدرّس في كليات ومدارس أميركا وكتب مقالات عديدة عن التأثير الديني على مجرى السياسة الخارجية الأميركية والصهيونية المسيحية.

صدر له في عام 1948 كتاباً بالإشتراك مع صديقه القس البروتستانتي دونالد واغنر عضو لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني تحت عنوان «كلّ شيء يفعلونه باسم التوراة».

من كتبه، نذكر:

أساطير الخصب القديمة والمعتقدات الشعبية في سورية

مؤلف ضخم عن «بعل حدد – الذهنية والمعتقد والطقوس» بالاشتراك مع الرفيق د. سليم مجاعص.

كان اول رئيس لمنظمة الطلبة العرب وكان أحد مؤسسي رابطة الخريجين العرب في أميركا.

عضو في لجنة الدفاع عن حقوق الشعب الفلسطيني

× ×

اقترن من الدكتورة صفية، المصرية الجنسية ورزق منها الدكتور وليد، عالم الذرة.

اشقاؤه:

الرفيق د. سامي، الذي اقام في مدينة Las Cruses وكان منتظماً في اقرب فرع الى مكان إقامته: مفوضية الباسو.

الرفيق المهندس منير: كان ضابطاً في هندسة الطيران في الجيش الشامي، شارك في محاولة الانقلاب في الشام عام 1956. حكم عليه بالسجن لمدة 4 سنوات، وعندما خرج، لجأ الى لبنان وعمل مهندس طيران في شركة «طيران عبر المتوسط TMA».

الرفيق مخول قاصوف
البادئ في الأغنية السياسية

رحل باكراً وهو يعد بالكثير، انما هو باق لدى الكثيرين ممن عرفوه مذ كان طالباً في الجامعة اليسوعية، فرفيقاً شاعراً وملحّناً وموسيقياً وطبيب أسنان ناجحا.

اني شخصياً وقد عرفته طالباً، يتردّد الى بيت الطلبة في ساحة الدباس وينشط في مديرية اليسوعية في اوجّ نشاطها وقد ضمّت عشرات الرفقاء الذين كان لهم حضورهم المشعّ في جامعة تُعتبر معقلاً للفكر الإنعزالي. ثم تابعتُ نشاطه باستمرار، وكنت التقيه مع كثير من أواصر المودة، والارتياح لنفسيته. اني ما زلتُ أذكره دائماً، وأستعيده في ذاكرتي كلما استمعت مرة جديدة الى شريطه الأول «بواب الفرح» وما تضمّنه من أغنيات رائعة.

يستحق الرفيق مخول قاصوف أن يصدر عنه مؤلف يحكي سيرته الغنيّة، وهذه دعوة صادقة لمن رافقه جيداً، ويملك الكثير مما يجب أن يُعرف.

كان الصحافي سمير كامل نشر في العدد 10491 تاريخ 27/10/1991 من جريدة «الحياة» هذا البحث عن الرفيق الدكتور مخول قاصوف.

عسانا إذ ننشره، نفيه بعضاً من واجب.

* *

« لم تمنعه مهنته كطبيب أسنان من ممارسة هواياته الفنية المتعددة. تدخل الى عيادته فتتناهى الى سمعك موسيقاه وأغانيه، تجلس في انتظاره، فيقع نظرك على لوحات تحمل توقيعه، وعلى مكتبه تجد ديوان شعر من تأليفه، وتكبر دهشتك عندما يحدثك الدكتور مخول قاصوف عن بحثه الجديد وما اكتشفه من دور للموسيقى في معالجة المرض.

واذا كان الرسم خصوصاً وكتابة الشعر لا يعنيان كثيراً، فانّ الموسيقى تظلّ هماً من همومه اليومية، وبين الحين والآخر نسمع جديده ويكون جديداً فعلاً نسبة الى نهجه الفني. ومخول قاصوف كان أول من غنى ما يسمى «الأغنية السياسية» في صيغتها الجديدة في لبنان في بداية السبعينات (قبل أن يظهر عدد من رموز هذه الأغنية) ومسيرته الفنية الخاصة طرأ عليها الكثير من التغيير إنْ من حيث الشكل أو من حيث المضمون. وبين البداية والمرحلة الحالية، اختلف منظوره الموسيقي ورؤيته الغنائية.

« البداية كانت مع نمو الحركات الطلابية ومطالبها في لبنان، ويسجل له أنه كان أول من وضع أغاني تتناول القضايا الاجتماعية والأحداث السياسية وكان أول من غنى للجنوب اللبناني. ومع اندلاع الحرب اللبنانية وتخرّجه من الجامعة اليسوعية، وجد نفسه في المعركة، طبيباً وفناناً، ولم يتردّد لحظة في الانحياز الى رسالته الإنسانية، وظل في الوقت نفسه يغني بأسلوبه الخاص.

« مخول قاصوف كان أول من رفع «الشعار» في الأغنية لكنه أدرك لاحقاً أنّ الفن أكبر من الشعارية على رغم أننا نرى رموز هذه الأغنية ما زالوا يجيّشون ويعبّئون أغنيتهم بشعاراتها.

ومخول قاصوف لم يغيّر في خطاب الأغنية فقط بل بدّل في مضمونها الموسيقي. واذا كان قاصوف اول من حمل الغيتار على المسرح، ليغني أغنية عربية، فهو اكتشف باكراً أنّ هنالك مشكلة كبيرة في إيصال أفكاره اللحنية على آلة لا تعزف «الشرقي» فعمل على «تشريق» الغيتار، ليطال مقامات عربية أساسية في الموسيقى، فتراجعت الأجواء الغربية البحتة في جملته اللحنية، التي نشأ وترعرع عليها لتحتلّ مكانها الروح الشرقية، ويظهر ذلك بوضوح في «شريطه» الجديد «كلو تمام» الذي صدر أخيراً. وهو الشريط الثالث له بعد «انتو كلّ الحكاية» و«بواب الفرح» ويتضمّن ثماني أغنيات وقّع قاصوف كالعادة كلماتها ولحّنها. وخلافاً للعادة فإنه لم يؤدّها بصوته، وكلها باستثناء «مثقفون» غناها الفنان سامي حواط، ونجح في تأديتها. وحسناً فعل قاصوف عندما ابتعد عن الغناء ليقدّم عملاً احترافياً بكلّ معنى الكلمة صوتاً وتسجيلاً وتقنية، إضافة الى قيمة العمل نفسه تأليفاً وتوزيعاً وكلمة. ويلاحظ أنّ قاصوف بات يميل الى إعطاء اللون الشرقي حقه في أعماله ويساعد على ذلك صوت وأداء سامي حواط.

مخول «الشاعر» لا ينفصل عن الموسيقي. فكلمته مرتبطة تماماً بموسيقاه، ولا يبدو له أنه يمكن أن يكون شاعراً خارج موسيقاه، كما لا يمكن أن يكون ملحناً، بعيداً عن أجواء كلمته، على رغم أنه غنّى سابقاً أغنية من كلمات طلال حيدر، وأخرى من كلمات الشاعر الراحل كمال خير بك.

مخول قاصوف اكتسب الكثير من تجارب الآخرين، وهو يتعاطى مع الفن بعيداً عن الروح التجارية المعروفة. وعلى عكس ذلك فهو يصرف من جيبه لإنتاج أعماله الفنية جرياً على عادة القلة من الفنانين الذين وهبوا أنفسهم لإعلاء شأن فنهم.

« ربما لا يعجب البعض بفني، وربما العكس، لكني لا أدّعي شيئاً. أنا أعبّر عن نفسي وأحاسيسي». هو ذا ما قاله مخول قاصوف في وصف تجربته الفنية.

رفقاء من بيروت
رفيقان لمن يعرف عنهما حالياً؟

الرفيق انطوان سلفيتي

من عائلة مارونية متعصبة، قطنت الجميزة ووجدت في أبنائها كلّ العالم.

لو لم يغادر الى برلين فيتعرّف الى رفقاء كان منهم الرفيق حسن يونس[1]، لما تعرّف الى مسلمين او الى الحزب، فأقسم.

كانت تربط الرفيق حسن صداقة قوية مع الرفيق طه غدار. بواسطته تعرّف الرفيق سلفيتي على الرفيق طه.

كان الرفيق حسن اعتاد أن يزور الرفيق سلفيتي في منزل العائلة في الجميزة، انما لم تكن والدة الرفيق انطوان ترتاح اليه، فهو «مسلم» وسحنته سمراء، والشكل أقرب الى أبناء وادي النيل.

ذات يوم، والوالدة تلوم ابنها انطوان أنه «يعاشر إسلام»، قرّر ان يعرّفها على أحد أصدقائه، الرفيق طه غدار الذي كان يختلف بالشكل عن الرفيق حسن، على انه من الطائفة المسيحية، في البيت عرّف عن الرفيق طه على انه بيار...

رحبت الوالدة وفرحت

ايه، هيئة المسيح على وجهه

ضحك الرفيق انطوان وقهقه الرفيق طه غدار... الشيعي من قناريت (الزهراني) .

* *

الرفيق جان مسعد

كان يتولى مسؤولية ناظر المالية في منفذية الطلبة الجامعيين، وطالباً في الجامعة اليسوعية. ذكي، نشيط، قومي اجتماعي، وملتزم أخلاق النهضة، محب، لا تستطيع الا أن تأنس اليه وترتاح لنفسيته القومية الاجتماعية.

كان يتردّد كثيراً الى مكاتب جريدة «البناء»، في فترة تولي مسؤولية مدير الإدارة فيها، يساهم بتوزيعها، ضمن مسؤوليته كناظر للمالية، ويقرأ الصفحة 19[2] ويسرّ بمضمونها، والتقيه باستمرار.

كان ربيب عائلة بورجوازية. والده يملك شركة للتأمين ومنزلهم في منطقة الصنايع ويصطافون في منزل مستأجر في منطقة زغرين. غادروا زغرين والمنزل في الصنايع ولم أعد أعرف عنه شيئاً.

هل غادر؟ هل وافته المنية؟ هل؟.. إنه من الرفقاء الذين لا يبرحون ذاكرتي.

* *

هوامش

1) حسن يونس: نشط في برلين، ثم اذاعياً في قرى وبلدات في قضاء صور وكانت له اليد الطولى في انتماء عدد جيد من الرفقاء، في عدد من قرى القضاء.

2) الصفحة 19: عندما كنت مديراً لإدارة البناء نشرت ذات يوم مقطوعات وجدانية، وتعليقات على صور في الصفحة 19، التي حازت استحسان القراء، ولاحقاً المرتبة الأولى في استفتاء أجرته «البناء» مع قرائها.